

مفاهيم القرآن

(164) ومن الواضح أنَّ بيعةً بهذه الصفة، لا يمكن أن تكون انتخاباً حقيقياً¹ واستفتاءً حرّاً². فأَيُّ انتخاب شعبيٍّ حرٍّ جاء بالخليفة الأوّل، وهذا التاريخ يروي لنا ما جرى في السقيفة وما وقع من التهديد والتنديد والسيف، والشتيمة والمهاترات. فها هو الحَبّاب بن المنذر الصحابيُّ البدريُّ الأنصاريُّ العظيم وقد انتضى سيفه على أبي بكر - يوم السقيفة - وهو يقول: (واللّٰه لا يرد عليّ أحد ما أقول إلّاّ حطّمت أنفه بالسيف أنا جديها المحكّك [أي أصل الشجرة] وعذيقها المرجب [أي النخلة المثقلة بالثمر] أنا أبو شبل في عرينة الأسد يعزى إليّ الأسد) (1). وهو بكلامه هذا يتهدّد كلّ من يحاول إخراج القيادة من الأنصار وإقرارها لغيرهم. وها هو آخر (وهو سعد بن عبادة) يخالف مبايعة أبي بكر وينادي: (أنا أرميكم بكلّ سهم كنانتي من نبل واخصّب منكم سنانني ورمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي وأقاتلكم مع من معي من أهلي وعشيرتي) (2). وها هو ثالث يتذمّر من تلك البيعة ويشبّ نار الحرب بقوله: (إنّي لأرى عجاجةً لا يطفئها إلّاّ دم) (3). وهذا هو سعد بن عبادة أمير الخرج الذي طلب أن تكون الخلافة في الأنصار، يداس بالأقدام، وينزى عليه وينادي عليه بغضب: (اقتلوا سعداً قتله اللّٰه إنّه منافق، أو صاحب فتنة) وقد قام الرجل على رأسه ويقول: (لقد هممت أن أطأك حتّى تندر عضوك أو تندر عيونك) (4). فإذا بقيس بن سعد يأخذ بلحية عمر ويقول: (واللّٰه لو حصمت منه شعرةً ما _____ 1- شرح ابن أبي الحديد 2:16. 2- الغدير 7:76. 3- الإمامة والسياسة 1:11، تاريخ الطبري 3:210. 4- مسند أحمد 1:56، تاريخ الطبري 3:210 وغيرهما.